

لغة الضاد

بين الواقع المرصود والأمل المنشود

"أهمية دور اللغة عموماً واللغة العربية خصوصاً في حياة أبنائها"

تعريف اللغة:

عند المحدثين:

ذهب المحدثون في تعريف اللغة أنها بنية صوتية، تتوزع بحسب المجتمعات والأقوام، ولها وظائف تؤديها في حياة المتكلمين بها، فقد عرفها العالم اللغوي الحديث دي سوسير بقوله:

"اللغة نظام من العلامات الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يحقق التواصل بينهم"⁽¹⁾.

عند القدماء:

عرف ابن جني اللغة من ألف عام بقوله:

"اللغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن اغراضهم"⁽²⁾

هذا عن اللغة عموماً وإذا نظرنا إلى اللغة العربية من هذه الجوانب فشأنها شأن كل لغات البشر، غير أن كل تجمع بشري على وجه الأرض يهتم بلغته ويوليها من العناية والرعاية ما يجعلها من أولى اهتماماته وأهدافه في حياته ذلك أنها تؤدي لهم في حياتهم دوراً لا يمكن الاستغناء عنه، فهي تؤدي لهم وظائف لا يمكن للمجتمع أن يستغني عنها، إضافة إلى كون اللغة وسيلة من وسائل تحقيق الذات الانسانية، ودعمها من دعائم الوحدة بين المتكلمين بها.

وظائف اللغة في حياة المتكلمين بها:

لكل لغة وظائف وأدوار تقوم بها في حياة المتكلمين بها مما يجعلهم يهتمون بها ويعتزون بها ويبدلون من أجلها ويستسهلون الصعب في سبيل الحفاظ عليها، فلنتعرف على بعض هذه الوظائف، وهل العربية قادرة على الوفاء بها أم أنها عاجزة عن ذلك!.

أول تلك الوظائف أن اللغة وسيلة للإبلاغ والاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع الذي يتكلم بها⁽³⁾، فبها يستطيع الإنسان أن يفهم الآخرين وأن يفهم عن الآخرين، أنها وسيلته الأولى والأساسية في الاتصال بأفراد مجتمعه، وهي الوظيفة الأولى من وظائف اللغة، وكل لغة يتحدث بها قوم فإنها تلعب هذا الدور في حياتهم بصفة عامة.

(1) علم اللغة، د/ محمود السعران، ص51، 57 (الطبع الثانية عام 1997م).

(2) الخصائص لابن جني 33/1 (تحقيق محمد على النجار)، طبعة دار الهدى، بيروت، بلا تاريخ.

(3) انظر في ذلك التعريف بعلم اللغة لدافيد كريستل، ص89-90، ومدخل إلى علم اللغة د/ محمد حسن عبدالعزيز، ص9، ومن أسس علم اللغة د/ حبلص ص63، اللغة لفندريس، ص35.

والعربية الفصحى من هذه الناحية قادرة على أن تكون لغة الإبلاغ والفهم والإفهام وقد استطاعت أن تلعب هذا الدور بصفة أساسية على مدى تاريخها الطويل، بل أنها ما تزال قادرة على الوفاء بهذه الوظيفة بل انك لتعجب من لغة من يفهم العامي والمتعلم وانصاف المتعلمين أهم نصوصها وهو القرآن الكريم، فعندما يستمع إليه من العامي فإنه لا يحرم الفهم وكل يأخذ منها على قدر استعدادة، بدليل استجابة البداية عليه عند استماعه.

ثاني هذه الوظائف أنها وسيلة الإنسان في التفكير، فالصلة بن اللغة والتفكير صلة قوية لا يمكن الفصل بينهما، حتى أنه لا يتصور أن يكون هناك تفكير بغير اللغة⁽¹⁾. والعربية لا تقل في ذلك عن أشهر لغات الدنيا، فقد كانت ولا تزال وسيلة التفكير عند علماء هذه الأمة وعامتها في عصورها الزاهرة، تلك العصور التي خلفت عدداً لا حصر له من المؤلفات في شتى فروع المعرفة الإنسانية، التي أنارت وجه الأرض وكانت الأساس الذي بنى عليه الغرب حضارتهم المعاصرة، وما تزال كذلك لغة التفكير عند علماء هذه الأمة وعامتها في وقتنا الحاضر.

ثالث هذه الوظائف أنها من وسائل البشر في تسجيل المعارف الإنسانية فاللغة من أهم تلك الوسائل في تسجيل هذه المعارف، وهو أمر يلزمه الجميع في شتى مناحي المعارف الإنسانية يستوي في ذلك ما كان متصلاً بالإنسان ذاته وما كان متصلاً بالكون وعلومه.

ولقد ضربت العربية في ذلك مثلاً رائعاً في قدرتها على استيعاب العلوم، وأن تكون لغة علمية في كل ما يكتب بها أو يسجل بها، فقد أثبتت جدارتها وتمكنها من ذلك، فبها برع علماء هذه الأمة قديماً في تسجيل معارفهم العلمية والإنسانية في الهندسة والحساب والجبر وحساب المثلثات والكيمياء والفيزياء والجغرافيا والطب وصناعة الدواء كما كانت وسيلتهم لتسجيل التاريخ والآداب وعلوم الإسلام.

وانها في وقتنا الحاضر ما تزال قادرة على تسجيل تلك العلوم بما في ذلك ما يسمى خطأ بالعلوم الطبيعية وصوابها العلوم الكونية أو العلوم الربانية.

رابع هذه الوظائف أن اللغة وسيلة من وسائل تنمية المهارات اللغوية والأدبية عند الموهوبين بين المتحدثين بها، فكل لغة من لغات البشر تمكن المتحدثين بها من تنمية قدراتهم اللغوية ومهاراتهم الأدبية فيكثر النتاج بها في هذين الجانبين.

ولقد ضربت اللغة العربية في هذين الجانبين أروع المثل وأصدق على أنها أكثر لغات الأرض قدرة واستجابة، وفيها كتب العربي شعره ونثره وعبر أصدق تعبير عن مكونات تلك النفس الإنسانية، وأن الناظر والمتأمل فيما خلفته الأجيال المتعاقبة من النتاج اللغوي والأدبي ليفاجأ بهذا الكم الوافر الذي لم يتوافر لأية لغة على وجه الأرض فبها جاءت مصنفات اللغة والأدب بأجناسه المختلفة قديماً وحديثاً.

خامس هذه الوظائف: أنها تزود الإنسان بالتعبير الجاهزة المناسبة لكل موقف، مما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي بين الأفراد الذين يتكلمون بها.

سادس هذه الوظائف: أن اللغة تقوم بوظيفة نفسية للمتكلم فهي النتاج العقلي ويستطيع الإنسان من خلال اللغة أن يتعرف على نفسية الكاتب من ملاحظة اضطراب تلك اللغة

(1) انظر اللغة لفندريس، ص 11، ومن اسس علم اللغة، د/ حبلص، ص 64.

أو استقامتها ورسوخها ونحو بذلك مما يؤثر على الجوانب المختلفة في أصواتها وأبنياتها وتراكيبها ودلالات مفرداتها.

والعربية في ذلك الجانب ككل لغات البشر قادرة على أن تعكس النسيج العقلي والنفسي لصاحبها لرصد في النهاية ملامح صورة نفسية للمتكلم بها.

تلك أهم الوظائف التي تقوم بها اللغة في حياة المتكلمين بها، وإذا كنا نلاحظ أن غير العرب من كل تجمع بشري يعتد بلغته ويوليها من العناية والرعاية ما يجعلها قضية قومية لها الاهتمام الأول والمنزلة الأولى من قضايا المجتمع، فلماذا لا نجد عندنا الاعتداد والاعتزاز بلغتنا العربية التي قامت وتقوم وما تزال قادرة على القيام بما تقوم به من لغات أخرى في حياة المتحدثين بها؟!

وإذا كنا نرى من غير المتكلمين بالعربية موقفاً يغيّر ما نجده من موقف المتكلمين بالعربية من اعتزازهم بلغتهم واهتمامهم بها والبذل من أجلها والكد في تحصيلها، والتعب في تطويرها والحفاظ عليها، فإننا نجد أن السمة العامة لكثير من المتحدثين بالعربية أنهم يننون منها، مدعين صعوبتها، وعدم صلاحيتها في نظر قوم منهم لمجارة العصر وما إلى ذلك مما يدعيه بعضهم في حق تلك اللغة.

وإذا لاحظنا أن العربية تؤدي ما تؤديه غيرها من اللغات في حياة البشر بصفة عامة وقد رأينا كيف أنها تقوم بكل ذلك بتمكن واقتدار فإنها بالإضافة إلى ذلك تقوم في حياتنا بدور خطير وفعال، فهي مدخلنا إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما دار حول هذين الأصلين من علوم على مدى تاريخ هذه الأمة، وذلك التاريخ الذي يجاوز ألف وربعمائة عام.

إن العربية هي المدخل الطبيعي إلى فهم هذه العلوم فهماً صحيحاً لا لبس فيه ولا غموض ولا زيغ ولا خطأ، إذ أنه كلما تمكن الإنسان من العربية كان فهمه لنصوصها أجود وأسلم وكلما تدنى مستواه وتمكنه منها كان فهمه أهدأ وإلى الخطأ أقرب.

ونحن بحاجة ماسة إلى الفهم الصحيح حتى نستطيع أن نحسن الاتباع الذي أمرنا به خالقنا، وأشار إلى شيء من أثره علينا في نحو قوله تعالى:

(فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) طه: 123

فحسن الاتباع ينجو به صاحبه من الضلال والشقاء، ولا يكون حسن الاتباع إلا بحسن الفهم، ولا يكون حسن الفهم وجودته إلا بأن يتمكن الإنسان من لغته العربية وأن يرقى مستواه فيها، وهو أثر لو لم يكن غيره منها لكفى به دافعا لأن ننزل هذه اللغة المنزلة اللانقة بها وأن نعزز بها كما يعزز غيرنا بلغته سواء بسواء.

ولو تحدثنا عن أهمية اللغة العربية فهذه شهادات لغير العرب، فالاطلاع على شهادات غير العرب في العربية له طعم آخر، لأنهم عرفوا قيمة لغتنا وهم ليسوا منا.

* يقول الفرنسي إرنست رينان:

"اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أعرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة".

* يقول الألماني فريتاغ:

"اللغة العربية أغنى لغات العالم"

* يقول وليم ورك:

"إن للعربية ليناً ومرونة يمكنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر".

وأخيراً لا يمكن أن ننسى قول مصطفى صادق الرافعي في "وحي القلم":

"إنما القرآن جنسية لغوية تجمع بين أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستغربين به، متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً".

وإذا طرحنا سؤال لماذا نحافظ على اللغة العربية؟ ستكون الإجابة في عدة نقاط وهي:

(1) اللغة العربية ودورها كلغة أم:

- 1- التواصل بين المرسل والمتلقي وسهولة تبادل المعلومات.
- 2- تضاعف قدرة الإنسان على الاستيعاب والفكر والابداع عند استخدام اللغة الأم.
- 3- ضياع جهد ووقت وطاقة في استيعاب المعنى الأجنبي قبل استيعاب المعنى والمفهوم المقصود، هذا الوقت والجهد والطاقة يمكن استثمارها في قراءة مرجع أو أي استثمار مفيد.

(2) اللغة العربية وقدرتها على استيعاب العلوم في مواجهة العولمة:

ويسوق غنيم⁽¹⁾ سمات متعددة للعربية توافق سمات اللغة العلمية، وهي دون تفاصيل:

- المنطق.
- الوضوح.
- القصد إلى حقيقة الأمور.
- تقبل المصطلحات.
- وحدة المفهوم التركيبي للجملة العلمية.
- شمولية صفة العلم وسلامة البنيان اللغوي والايجاز.

ويشير الهاشمي⁽²⁾ لذلك بقوله:

إن منهاج اللغة العربية حين يوجه جهوده نحو اكساب الناشئة لغتهم بما يمكنهم من استخدامها في تحقيق الاتصال والتعبير وتسهيل التفكير وحين يلمسون واقعا عبقرية لغتهم في أنظمتها المختلفة ويمارسون عمليات التفكير في تحليل النصوص، وتقويمها وتذوقها، واكتشاف أغراضها ومضامينها وحين يتصلون بتراثهم الأدبي الخالد عبر العصور حين يفعل منهاج ذلك يقدم خير رد على ادعاء تخلف العربية وجمودها، وعجزها عن مجاراة العصر

(1) كارم السيد غنيم، اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة، عالم الفكر، المجلد التاسع عشر، العدد الرابع، يناير - مارس 1989، الكويت، ص 37-80.

(2) عبدالله بن مسلم الهاشمي، دور منهاج اللغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية ومواجهة تحديات العولمة، مؤسسة الفكر العربي، المكتبة الرقمية، 2010م.

والتعبير عن العلم والتقنية، فلا تزيده هذه الادعاءات إلا تمسكا بلغته وحرصا على المحافظة عليها.

(3) خصائص العربية كلغة حية:

- 1- لغة القرآن الكريم.
- 2- الوضوح والسهولة والمرونة والتطور.
- 3- درجة التنظيم.
- 4- توفر وسائل النمو العقلي:
 - أ- الاشتقاق.
 - ب- الالصاق.
- 5- الاقتصار والايجاز.

(4) اللغة العربية ودورها في الوحدة القومية والوحدة الإسلامية كلغة العرب والمسلمين ودور الإسلام في الحفاظ عليها حيث أمدها بثقافة عربية شاملة تتمثل في التاريخ الإسلامي والفقهاء ووسائل علوم الدين..

(5) استخدام اللغة العربية سيفرض حتمية الترجمة والتعبير للتواصل الحضاري مع غيرنا من الشعوب الأخرى وما يمكن أن نضيفه للغة من إثراء للمعجم بالألفاظ وغير ذلك.

(6) اللغة العربية لغة القرآن الكريم: ويرى المستشرق المسلم د/ عبدالكريم جرمالوس أن اللغة العربية سندا هاما ابقى على روعتها وخلودها وهو القرآن الكريم، وكذلك كان لأسلوب القرآن أثر عميق في ثقافات الشعوب الأخرى التي اقتبست ألفاً من الكلمات العربية وازدانت بها لغاتها الأصلية فزادتها قوة ونماءً.

(7) مواجهة العولمة وما ترمي إليه من تهميش ما عداها من الهويات والثقافات أن الدولة العربية هي الدولة الوحيدة على مستوى العالم التي تدرس العلوم في جامعتها بلغة أجنبية.

مقدرة اللغة العربية على مواكبة تطورات العصر:

لغة لها كل الخلائق تنحني شرفا يفجر حسنها زلزالا

كم من عشيق راح يطرق بابها فاسـتقبلته، وفكـت الأغـلالا

لا ينكر أحد فضل اللغة الأم في توفد الإبداع والابتكار والدول المتقدمة تدافع عن لغتها الأم بشراسة وقوة وتضع القوانين اللازمة للمحافظة عليها ولا تتهاون في تطبيقها، واللغة العربية ليست لغة أم فحسب بل هي لغة الأمة العربية والرباط بين دولها وهي لغة الأمة الإسلامية ولغة الدين الإسلامي؛ لذلك يتطلب الحفاظ عليها قوة مضاعفة لغيرها من اللغات.

ولكنها للأسف تعيش اليوم واقعا مرأ؛ فهي بين مستهين بشأنها، غير آبه بالدقة والصحة في استخدامها لغة للتعبير والاتصال، وداع إلى نبذها، واستبدال اللغة الأجنبية بها في التدريس والتأليف، حتى في المستويات الأولى من التعليم، مدعيا أنها عاجزة عن مواكبة العلم والتكنولوجيا، والاستجابة لما يحدث فيهما من تطور متسارع، ومناد بضرورة استخدام العامية

لغة للإعلام والانتاج الأدبي، زاعما أنها الوسيلة الأنجح في مخاطبة الجماهير، والوصول إلى عقولهم وقلوبهم.

وقد رميت العربية بتهمة وأقوايل بغية إقصائها عن مكانها المفترض لها عند العرب واحلال العامية أو لغة أجنبية مكانها، ويلخص وليد خالص⁽¹⁾ هذه الأقاويل بمجموعة من النقاط أهمها أن العربية "لغة بدائة" تفتقر إلى التجريد.. لا عهد لها بالمخترعات الحديثة... وتفتقر إلى دقة المصطلحات العلمية... كما أن ما فيها من مصطلحات قليل ويكاد يكون معدوم الجدوى وهي بالضرورة ليست لغة عالمية كما أنها من حيث دقائقتها تفتقر إلى نظام تفصيلي للزمن في الفعل كما تجده في اللغات الأوروبية، وهي لا تصلح أن تكون أداة لإقامة التفكير المنطقي.

والسؤال الذي نود أن نجيب عنه في هذا المحور هو: هل العربية قادرة على مواكبة تطورات العصر وروحه؟ أم أنها غير قادرة على ذلك؟ وهل ما هي عليه اليوم من عجز لمواكبة العلوم الحديثة والتطورات السريعة هل هذا قصور ونقص يرجع لها نفسها أم ما السبب؟؟

الحق أن العربية لغة مكملة النمو، استطاعت أن تعبر عن دقائق المشاعر الإنسانية والصور والأحاسيس، وهي التي حددت هوية العربي، ويشدو بها منطلقاً في جزيرته العربية بأجمل الصور الشعرية، وأعذب الرؤى النظرية وهي تنحو في ثنايا تكوينها وخصائصها الذاتية منحى إنسانياً وعالمياً، يصل إلى آفاق العالمية والإنسانية وقد تجسد هذا المنحى عندما أصبحت العربية لغة الوحي الإلهي.. وهكذا وجدت العربية مجالها الحيوي في عالمية الدعوة الإسلامية بوصفها لغة القرآن الكريم.

وقد واكبت اللغة العربية حركة النهضة الحضارية العربية والإسلامية، وأصبحت في عصورها لغة عالمية بفضل انتشار الإسلام، وفتحت صدرها لتراث الإنسانية، وحفظت ما تركه الأقدمون، فأسس العرب لنهضة علمية، قدمت معجزة في حضارة جديدة قامت على العلم والمعرفة والانجازات المفيدة للعاملين انطلقت من هذه الأرض العربية مع الفاتحين، رسل الحضارة والعلم والفكر والإيمان.

ولقد اتيح للعربية أن تتحول بذلك إلى لغة عالمية عبر العصور الإسلامية المتعاقبة لأنها واجهت لغات وحضارات متعددة، فأثبتت أصالتها واستيعابها لكل جديد في هذه الحضارات التي طوعتها وفق معاييرها العربية والإسلامية العالمية... وأصبحت اللغة العربية لغة جميع الشعوب المنتسبة إلى الدولة العربية، والرابط الأساسي للعلم والفكر والعمل والدين والحياة... وبذلك كانت اللغة العالمية الأولى في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية منذ القرن الثالث الهجري... وتجلت عالميتها بصورة واضحة، عندما كانت البعثات العلمية من مختلف الأقطار الأوروبية تؤم مراكز الإشعاع الثقافي في دمشق وقرطبة واشبيلية وغرناطة... وغيرها للدراسة باللغة العربية وبمصادرها العلمية العربية الفريدة في وقتها واحتلت بذلك اللغة العربية والحروف العربية والأرقام العربية مكانة الاحترام والقداسة والتقدير في نظر وآراء جماهير تلك الشعوب، فانفردت اللغة العربية بتحقيق هذه العالمية من بين جميع لغات الأمم الأخرى... لأنها أصبحت لغة الفكر والثقافة والعلم والإدارة والمراسلات والتجارة والطب والهندسة، ووسيلة الاتصالات الدولية والآداب والحياة اليومية... فكانت العربية لغة العلوم

(1) وليد محمود خالص، اللغة العربية والعولمة، بحث مقدم إلى مؤتمر مجتمع المعرفة التحديات الاجتماعية والثقافية للغوية في العالم العربي حاضراً ومستقبلاً، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط.

والرياضيات والطب والسياسة والدبلوماسية، وظل العلماء الرياضيون والبنائون والأطباء والمؤرخون المسلمون والعرب اساتذة الاساتذة وفلاسفة الفلاسفة ومعلمي المعلمين نحو ألف عام.

ونستطيع القول بأن المواجهة التي يفرضها التطور العلمي على اللغة العربية ليست جديدة عليها ولا هي في الصراع الحضاري، فقد عرفت اللغة العربية عبر تاريخها الحافل صوراً من هذه المواجهة استطاعت أن تقبلها في عصر السيادة إلى حوار في سبيل خير الحضارة الإنسانية، فاللغة العربية وليدة مسيرة راندة في العطاء الحضاري، لا تخشاه وإنما ترحب به، بل تتطلع إليه من منطلق القدرة على العطاء، فمن مميزات اللغة العربية أنها "مرنة"، تتفاعل مع حركة الحياة، وتسائر الزمان في تطوره في كل عصر، فهي في قوامها أو مجتمعها كائن حي، ينمو ويتغير وفق متغيرات المجتمع، وتتميز عن غيرها من اللغات بخصائصها متعددة تجعلها تواكب كل عصر وما يجد فيه من مظاهر الحياة الجديدة والحضارة المتطورة، وتعد وسيلة مهمة في مواجهة تحديات العولمة، وذلك من خلال الأصول والقواعد التي وضعها الأوائل، وما قامت عليه من منهج علمي في التوليد اللفظي والدلالي لنمو اللغة وتطورها ومواكبتها للحضارة والحياة المتجددة، وأهم تلك الخصائص:

1- الإعراب: ويقصد به احتفاظ العربية بالحركات في أواخر الكلمات، وهي أقوى خاصية من خصائص العربية.

2- الاشتراك: وهو أن تكون اللفظة معتملة لمعنيين أو أكثر نحو "العين"، تحتمل "عين الماء"، و"عين المال"، و"عين السحاب".

3- التضاد: وهو الفاظ لكل منها معنيان أحدهما ضد الآخر مثل "الظن" يرد بمعنى التوهم والشك، كقوله تعالى: "اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ" الحجرات: 12، ويأتي بمعنى اليقين والعلم، كقوله تعالى: "الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" البقرة: 46.

4- الترادف: ويقصد به الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد مثل "الوصل" و"العطية" تقول "وصلته" و"ردفته" و"حبوته" واللغة العربية ثرية بهذه المترادفات.

5- القياس: وهو استنباط مجهول من معلوم، ومن القياس في العصر الحديث ألفاظ كثيرة دعت الحاجة إلى استعمالها في التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون، مثل المصدر الصناعي كالجاهلية والرهبانية، وما يصاغ على وزن "فَعَالٌ" للمبالغة مثل "البَرَادُ"، واسم الآلة على وزن "مفعال" مثل "محرار"، وهو ما يُعرف "بالترموتر"، وما هو على وزن "مِفْعَلٌ" مثل "مِنجَلٌ" فاشتقوا على قياسه "مِجَهْرٌ" وهو المسمى "بالميكروسكوب".

6- الاشتقاق: هو استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من صيغة، مثل "الضرب" يُشْتَقُّ منه أسماء وأفعال مثل "ضارب"، و"مضروب، ويضرب، واضرب".

7- التعريب (الاقتراض): وهو ما لفظت به العرب من غير لسانها فعربتة فصار عربياً بتعريبها إياه فهي عربية في هذه الحال وذلك بعد إخضاعها لتعديل يسير في لفظ حروفها وإخراجها عن الأوزان العربية المألوفة بحيث تصبح مع تقادم الزمن سائغة حلوة الجرس كأنها أصلية مثل: "ابريق" عن الفارسية، و"ابليس" عن اليونانية، و"بركان" عن اللاتينية، و"برميل" عن الإيطالية.... ويطلق على هذا

النوع من الألفاظ اسم "المعرب" وفي العصر الحديث ظهرت ألفاظ جديدة مُعربة، مثل (television) عُرِبَت إلى "تلفاز" جرياً على صوغ اسم الآلة على وزن مفعال...

8- النَّحْت: وهو عملية اختصار واختزال في الكلمات والعبارات، بأن تعتمد إلى كلمتين أو جملة فتتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت عليه الجملة نفسها كقولنا "سَبَحَل" من قال سبحان الله، و "حَوَقَل" من قال لا حول ولا قوة إلا بالله... وقد استفاد المعاصرون من هذه الظاهرة، فقالوا لحيوان الماء واليابسة "برماني"، اخذين ذلك من كلمتي بروماء...

9- الایجاز: وهو من أبرز خصائص العربية، ويشمل هذه اللغة حروفها وألفاظها وتراكيبها منطوقة ومكتوبة فمثلاً: الحرف (ع) له أربعة أشكال في العربية (ع - ع - ع - ع) وفي اللغة الأجنبية نحتاج إلى حرفين مقابل حرف واحد في العربية لأداء صوت معين كالخاء (kh) والجيم (dg).

ويؤكد التاريخ مقدرتها العلمية وذلك من خلال موقفين تعرضت لهما العربية:

الأول: كان في أول ظهور الإسلام عندما ظهرت مصطلحات جديدة، ذات دلالة شرعية، وقد نجحت في ذلك أيما نجاح.

الثاني: في العصر العباسي الأول عندما تُرجمت أمهات الكُتب والمؤلفات من اليونانية والسريانية والفارسية، فلم تعجز العربية عن تحمل تبعاتها، ولم يشك واحد من المترجمين آنذاك في قصور الفصحى عن استيعاب الأفكار الفلسفية والعلمية، التي كانت لمفكري الإغريق والرومان والسريان وغيرهم.

وما نجاح تدريس الطب بالعربية الفصحى في سوريا الشقيقة في عصرنا الحاضر، إلا برهان آخر على قدرة لغتنا الجميلة على استيعاب علوم العصر والتعبير عن مظاهر مستحدثات الحضارة⁽¹⁾.

وهذه التجربة ليست جديدة أيضاً على العربية، فقد تمكن علماءنا القدماء من رصد المصطلحات العلمية في مؤلفات بعينها كمفاتيح العلوم "للخوارزمي" والتعريفات "للجرجاني"، والمعرب الأعجمي في لغة العرب "للجواليقي"، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم "للتهانوي".

كما أنه للغتنا ميزات تتمتع بها لا توجد عند غيرها من اللغات، منها:

يقول الدكتور ابراهيم بن مراد، من أهم ميزات اللغة العربية اليوم قدمها فهي تكاد تكون أقدم لغة حية مستعملة اليوم؛ لأن نصوصها المكتوبة تعود إلى أكثر من خمسة عشر قرناً خلت، بينما لا يزيد عمر الانجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية على السبعة أو الثمانية قرون، فإن أنظمة هذه اللغات الصوتية والصرفية والنحوية لم تكون إلا بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، ثم أن العربية قد بقيت على امتداد تاريخها الطويل محافظة على وحدتها، فلم تتصدع لتتقسم إلى لهجات، على غرار ما حدث للغة اللاتينية، ولم يطرأ على

(1) خليل حلمي خليل، المعرب والمولد والدخيل في تاج العروس، الاسكندرية، 2001.

اصواتها أو أبنيتها وتراكيبها تبدل يذكر، ولم تنقسم لذلك إلى عربية قديمة وعربية حديثة، وقد يستعصي القديم منها على فهم المحدثين⁽¹⁾.

ويقول الدكتور حسين نصار إن أكبر تحد واجهته العربية كان عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنية كل الغني في الإبداع الأدبي، فقيرة كل الفقر إلى حد الإملاق في الإنتاج العلمي، ثم القى بها في بحر وافر من الحضارات والعلوم والفلسفات والفنون وكل صنوف المعرفة التي ابتكرتها الأمم المتاخمة للجزيرة العربية، ويسجل المؤرخون كيف انبثقت حركة فكرية منذ أواخر القرن الهجري الأول، وكيف انفردت الشعوب الناطقة بالعربية (من الشعوب الناطقة بالسريانية والفارسية واليونانية) بالريادة العلمية والحضارية في مجال البحث العلمي والترجمة والتعريب.

يقول غوستاق لوبون: لقد اصبحت اللغة العربية لغة عالمية في جميع الأقطار التي احتكت مع الشعوب العربية، حيث تراجعت أمامها حتى اللغة اللاتينية في شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس).

ولقد أدرك أولوا العلم في تلك الفترة أن اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة لنقل العلوم والفنون والآداب، بل لقد اضطر رجال الكنيسة إلى تعريب مجموعاتهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية⁽²⁾.

هذه المكانة الحضارية العالمية، اكتسبتها اللغة العربية بفضل ما تتمتع به من مميزات وامكانات لصهر الثقافات التي احتكت بها بعد أن استوعبتها، وكيفيتها بما يلامس بأصولها أن هذا يمنحها المرونة في تقبل الثقافات الأخرى.

وهذا عنصر آخر يُضاف إلى مكانتها العالمية، تقول الدكتورة مها خيربك ناصر: بهذه البديهيات العلمية، الحضارية الإنسانية تم إنتاج الحضارة العربية الإسلامية العالمية التي صهرت المعارف العلمية والفلسفية والثقافية والحضارية عند أمم كثيرة في مختبر البيئة الفكرية الحضارية الجديدة، وسجلت النتائج بلغة عربية، أثبتت قدرة متفوقة على احتواء ابداعات العقل اللامحدود، فأغنت اللغة العربية بمفردات غريبة عن التداول الاجتماعي، ولكنها لم تكن غريبة عن طبيعة تكوينها وخصائصها ومميزاتها⁽³⁾.

وما تميزت به اللغة العربية صفة التأثير والتأثير بلا حدود، مع المحافظة على هويتها وشخصيتها، هذه سمة اللغات القوية الغنية بالعناصر الحية التي تعطي وتأخذ، ما يمنحها فرصة التطور والتجدد.

تقول الدكتورة مها خيربك ناصر: احتضنت اللغة العربية حصاد الفكر العربي الذي خضع من خلال رحلة الفكر اللامحدود إلى مؤثرات داخلية وخارجية بدأت بالتفاعل التجاري والحضاري والاجتماعي مع شعوب غير عربية، فأمدتهم التجربة الإنسانية القائمة على الحوار والتبادل والتفاعل، بمفردات لم تكن في أصل المنطوق العربي، ونقلوا أيضاً إلى الآخر مفردات دخلت مع حركة الزمان، في أصل لغتهم فأثبتت اللغة العربية قدرتها على التأثير والتأثير،

(1) د/ ابراهيم بن مراد، مكانة اللغة العربية بين لغات العالم الواسعة الانتشار، كتاب من قضايا اللغة العربية المعاصرة، اصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1990، ص215.

(2) الدكتور بكرى عبدالكريم، عالمية اللغة العربية، الرؤية والأداة، كتاب العربية الراهن والمأمول، ص285.

(3) المصدر السابق ج1، ص348.

وأكدت على سلامتها وأصالتها بقبول الكثير من المفردات غير العربية، وحافظت على مقوماتها، بالرغم من تعدد اللهجات، التي لم يُحفظ منها إلا ما يتوافق وطبيعتها ولا يتناقض وجوهرها وخصائصها⁽¹⁾.

هناك على جانب آخر مهم يبين طبيعة اللغة العربية، وهو جانب الاشتقاق أي هي لغة اشتقاقية، وهي الصفة التي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان وقادرة على استيعاب المستجدات، والتفاعل مع اخوتها من اللغات الأخرى.

هذا الجانب القوي في اللغة يدفع بها أن تكون عالمية يستفيد منها البشر بمختلف أجناسهم، وبخاصة الباحثون في اللسانيات إنه أحد مظاهر قوتها وحيويتها وعلميتها.

وتتميز اللغة العربية أنها شاملة بمكوناتها صالحة للولوج في مختلف الميادين العلمية والفكرية والأدبية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والفنية، وكل المجالات التي يحتاج إليها البشر، وتلتصق بحياتهم، ويتوقف عليها تحركهم ونشاطهم.

يقول الدكتور محمد مصطفى ابن الحاج: ولم تكتسب العربية عالميتها هذه سعة الانتشار وكسب الصراع اللغوي فقط، بل كان لها طابعها العالمي لكونها لغة العلم والبحث والمراسلات الدولية والعلاقات السياسية والاقتصادية، كما كانت لغة الأدب والفنون في مختلف الثقافات التي اعتنق أهلها الإسلام⁽²⁾.

وبالرغم من ذلك كله، بالرغم من توفر هذه الميزات والسمات للغة العربية ذاتها وقدرتها العلمية على مدار التاريخ، إلا أنها عاجزة في الوقت الحاضر عن استيعاب علوم العصر، ولا تفي بأغراض تدريس هذه العلوم!!! والحقيقة أن هذا واقع لا يمكن إنكاره إلا أنه لا يرجع إلى العربية أنها وإنما يرجع إلى المتكلمين بها فاللغة العربية قادرة مقتدرة إذا أراد لها ذلك أبنائها، قادرة بعطائها التاريخ وقابليتها للتطور والنماء، وأهليتها للجوار الكريم مع اللغات العالمية الأخرى، فتلك سيرتها منذ أن كانت وقدرها يوم نزل بها القرآن رحمة للعالمين مقتدرة بأبنائها المعترزين بها وبالانتساب إليها، فهي مرجع حضارتهم وتاريخهم وعنوان هويتهم ومجال ابداعهم وقدر مصيرهم.... ويؤكد ذلك العالم الفرنسي فندريس إذ يقول:

"الواقع أننا لا نعلم اطلاقاً لغة قد قصرت عن خدمة انسان عنده فكرة يود التعبير عنها"⁽³⁾ ثم يقول عقب ذلك: "فلا تنصت اذا إلى أولئك المؤلفين العاجزين، الذين يحملون لغاتهم مسئولية النقص الذي في مؤلفاتهم، لأنهم هم المسئولون على وجه العموم عن هذا النقص"⁽⁴⁾، فاللغة كما يؤكد كمال بشر⁽⁵⁾ لا تجمد بنفسها ولا تتخلف بطبيعتها، كما أنها في المقابل لا تنمو ولا تزدهر منعزلة عن مجتمعها وما يجري فيه من أحداث، وبطبيعة الحال فإن حياة العربية وازدهارها نابع كما يؤكد وليد خالص⁽⁶⁾ من حياة أهلها، وإقبالهم قدرتهم على اكتشاف مكامن العبقرية والثراء فيها، وتمكنهم من توظيفها في عيشتهم ومناحي حياتهم، مع مواجهة الأخطار المحيطة بها وبهم وفق خطة عقلانية مرسومة من أظهر سماتها التخطيط

(1) المرجع السابق، ص 286 - 287.

(2) الدكتور مصطفى بن الحاج، عالمية اللغة العربية، كتاب من قضايا اللغة العربية المعاصرة، ص 258.

(3) د/ كمال بشر: التعريب بين التفكير والتعبير، مجلة الدارة، ع4، 1414 هـ، ص 188 "بتصرف".

(4) فندريس، اللغة ترجمة د/ عبدالحميد الدواخلي ومحمد الفصاح، القاهرة 1950م، ص 421.

(5) بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، القاهرة، دار غريب.

(6) وليد محمود خالص، اللغة العربية والعولمة.

والنظر المستقبلي النابع من الواقع بغية رصد بصراحة حادة من جهة، وتجاوزه إلى ما هو أفضل منه من جهة أخرى..

كان يمكن لحاضر اللغة العربية أن يكون أكثر ازدهارا من ماضيها لو أن الأجيال العربية أظهرت قدرا من الاعتزاز بلغتها، والعناية بحسن استعمالها، ولكن الأجيال الحاضرة حين فقدت فاعليتها الثقافية أصبحت عالية على الغرب لم تعد تغار على تراثها الذي هو أول مقومات هويتها، وبخاصة فيما يتصل من هذا التراث بالجانب التطبيقي من الدين واللغة..

كما أن اللغة العربية كغيرها من اللغات الحية تحتاج دائما إلى المختصين الى تطوير مصطلحاتها لتستوعب العلوم والتكنولوجيا التي تتطور بسرعة هائلة نتيجة لثورة المعلومات، وهذه المهمة تقوم بها مجامع اللغة العربية وحركة الترجمة في العالم العربي.. واللغة العربية تزداد ثراءً ونمواً من خلال الحرص على التعامل بها في مختلف النشاطات الحياتية من علم وفن وثقافة وغيرها من فنون الحياة العصرية.

3- الغنى وعلى اللغة العربية وأسبابه ووسائله

لقد أدرك أعداد هذه الأمة على مدار تاريخها الطويل ممن حاولوا أن يقضوا عليها أنها أمة غير قابلة للذوبان في هوية وذات من يغزوها ويعتلها، ولقد أدرك أن تدين هذه الأمة هو سر تماسكها واعتصامها، و سر داومها على هذا النهج فكانت حملتهم على الرموز الكبرى والشخصيات العظيمة في تاريخ هذه الأمة ليصرفوا الناس عن الاقتداء بهم والسير على نهجهم، لكن هذه الحملة لم تفلح ولم تؤت الثمرة المرجوة منها، فقد قبض الله من رد على مثل هذه الافتراءات، فأخرج العقاد مثلا عبقرياته التي رد بها على مثل هذه الحملات.

لذلك فكن أعداء هذه الأمة في وسائل أخرى لعلمهم يستطيعون بها أن يقوضوا سر تماسكها ويفتتوا مادة وحدتهم وقوامهم.. وقد أدرك أعداء هذه الأمة أن تدين هذه الأمة هو سر استعصانها على الذوبان في هوية غيرها، وأن اللغة هي الوسيلة إلى فهمها لدينها، ومن هنا توجهت الهمم وتبارى المخططون والمنفذون لتعبئة روح ونفوس ناشئة الأمة ضد العربية بتصويرها لغة صعبة معقدة، لا تجاري العصر ولا تستطيع أن تعبر عن مستحدثاته، وقد اتخذوا لذلك وسائل شتى.

ويؤكد علماء اللسانيات أنه يوجد في الوقت الحاضر ما بين خمسة آلاف وستة آلاف لغة (طبقا للتصنيف واحتساب اللهجات أو عدمه)، وتشير الاحصائيات العلمية أن ما بين مائتي وخمسين ألف وثلاثمائة لغة تنقرض سنويا بفعل سرعة التواصل والميل إلى استعمال اللغات العالمية الأكثر فاعلية، وهذا ما يسميه بعضهم بالغزو الثقافي أو اللغوي.

وبعملية حسابية بسيطة يتبين لنا أن القرن الحالي سيشهد اندثار حوالي ثلاثة آلاف لغة أي نصف لغات العالم، وقد أكدت منظمة اليونسكو لذلك فقد اسفر أحد تقارير اليونسكو الأخيرة عن أن عدداً من لغات العالم مهددة بالانقراض ومن بينها اللغة العربية.

مؤشرات دولية تنذر بانقراض اللغة العربية على المستوى الرسمي والعالمي⁽¹⁾:

العربية لم تعد لغة عالمية فمنظمة الأمم المتحدة تتجه إلى الغاء العربية من بين اللغات العالمية الرسمية في المنظمة وهي: الانجليزية – الاسبانية – الفرنسية – الروسية – الصينية – العربية، وذلك لثلاثة أسباب:

- 1- عدم استعمال ممثلي الدول العربية اللغة العربية في الأمم المتحدة، فهم يستعملون اللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
- 2- عدم وجود مترجمين عرب أكفاء يجيدون اللغة العربية.
- 3- عدم وفاء معظم الدول العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية في المنظمة.

وأوضح المفكر التونسي الدكتور عبدالسلام المسدي أن ضغوط الدول الكبرى على اليونسكو جعلتها تعلن مؤخرا أن الحقوق اللغوية تنحصر في ثلاثة:

- الحق في لغة الأم.
- الحق في لغة التواصل المجتمعي.
- الحق في لغة المعرفة.

وتعني هذه الحقوق بالنسبة لبلادنا ما يأتي:

- لغة الأم: اللهجة العامية أو إحدى اللغات الوطنية غير العربية مثل الدنكا في السودان، والسيريانية في سوريا، والأمازيغية في الجزائر والمغرب.
- لغة التواصل: اللهجة العربية الدارجة.
- لغة المعرفة العالمية: الانجليزية (أو الفرنسية في بعض البلدان).

وهكذا فالعربية الفصحى المشتركة بين بلداننا لا مكان لها هنا في هذا السياق، ولا تشكل حقا لغويا لأي فرد!

ومن ناحية أخرى فقد اتخذ عدد من الاجراءات العملية مثل الغاء تدريس اللغة العربية في بعض الجامعات الأمريكية واستعويض عنها باللغات العربية مثل الشامية والمصرية والمغربية والعراقية الخ.

وكان امتحان الثانوية في فرنسا يسمح فيه للطالب باختيار لغة ثانية كالإنجليزية والألمانية والإسبانية والعربية، وابتداء من سنة 1995م لم تعد العربية من بين هذه اللغات واستعويض عنها بعدد من اللهجات العربية.

وظل عرب 48 في اسرائيل – مسيحيين ومسلمين – يحرصون على تعليم العربية في مدارسهم لتكون وسيلة للتعبير عن هويتهم وانتمائهم لشعبهم الفلسطيني العربي ولكن اسرائيل – المزعومة – اتبعت سياسات اهمال اللغة العربية وتهميشها في الحيز المدرسي وتهجينها بالمصطلحات والتعبيرات العبرية والانجليزية.

ما معنى أن العربية مهددة بالانقراض وهي لغة القرآن الكريم؟

(1) بحث بعنوان "علاقة اللغة العربية بالسيادة الوطنية والهوية"، أ.د/ محمد محمود داوود

حقاً إن ارتباط العربية بالقرآن الكريم له أثر بالغ في حفظها وحمايتها من الانقراض، لكن بقائها حال ضعف العرب وتنكرهم لها يبقى في حدود اللغة الدينية المتمثلة في أداء العبادات كالصلاة والدعاء والحج والخطب وتفسير القرآن والحديث النبوي والفقه ... الخ.

لكنها تختفي الآن وتنقرض شيئاً فشيئاً عن الاقتصاد والاستثمار وسوق العمل ومجال العلوم (الطب والهندسة والفلك ... الخ) و التقنية الحديثة والواقع يشهد زهد أهلها فيها في هذه المجالات وغيرها والنظرة القاصرة السلبية لأهمية العربية التي تقصرها على الأهمية الدينية لصلتها بالقرآن والدين أمر يحرم العربية من أن تكون شريكا في مجالات الحياة العملية، فاللغة العربية فضلا عن أهميتها الدينية لها أهمية اقتصادية، وسياسية، وثقافية، واجتماعية.

فانتشار العربية يمتد معه زيادة فرص العمل والتجارة وتبادل المنافع مع الشعوب الأخرى، والتعريف بالرصيد الثقافي البديع للعربية تلك اللغة الخالدة المنفردة في البقاء منذ أكثر من 17 قرناً من الزمان يتيح الفرصة للسياحة والمهرجانات الثقافية ليطلع الناس على سر العظمة وأسباب الخلود.

ونشر العربية ودعمها والاهتمام بها بين الشعوب العربية والإسلامية وهذه مكاسب سياسية لا يستهان بها يمكن أن تحققها العربية.

والعربية لها أهمية اجتماعية في التواصل الاجتماعي الذي يضمن بقاء حياة اللغة بين أهلها؛ مما يعزز تماسك الأمة ووحدتها.

من صور الغزو على اللغة العربية:

جرت العادة في الشارع العربي على اتهام اللغة العربية بالتخلف والقصور وما هي بتهمة بحال من الأحوال للعربية ذاتها أن المتهم هم العرب الذين يقدمون لها الزاد والمدد، فاللغة إذا اعطيتها وطلبت منها ولدت لك ما تشاء وإذا أحجمت عنها هربت منك وضاعت فضياع العربية سببه أهلها، فليس في العربية جفاء أو جمود أو تخلف بذاتها، وإنما التخلف والاضطراب أصابها من أصحابها.

وفي هذا تقول العربية على لسان حافظ ابراهيم:

وُلِدْتُ وَلَمْ أَلَمْ أَجِدْ لِعَرَّاسِي رَجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدَّتْ بِنَاتِي

إن العربية الآن تعاني من التلوث اللغوي وهو أحد مظاهر الغزو الثقافي واللغوي؛ أي أنها باتت مشحونة باللغات الأجنبية، واللهجات التي لا حصر لها. وقد أصبح الناس ينظرون إلى اللغة الأجنبية نظرة فوقية في حين ينظرون إلى اللغة العربية نظرة دونية معناه أنه ينظر إلى نفسه النظرة نفسها، فاحترام النفس نابع من احترام اللغة.

ومن الأخطار التي تواجه اللغة العربية أيضاً المدارس الأجنبية لأن التعليم فيها يُشكل العقلية، والاتجاه والفكر والمفروض أن الاتجاه والفكر موحداً أو شبه موحد ويتحقق ذلك من خلال وحدة اللغة.

ولقد كان المثقفون العرب يظنون أن السبب في إضعاف اللغة العربية يكمن في وجود المستعمر، وفرض ثقافته وهويته كما ظنوا أن هدف إضعاف الشخصية العربية وربطها بثقافتهم ولكن ما إن انقشع غبار الاستعمار تبين أن العلة لم تكن في الاستعمار، وإنما كانت

لأسباب كثيرة، منها الفتنة الوافدة، وغفلتهم عن أهمية الفصحى وأصابتهم بالعمى الحضاري الذي جعلهم لا يبصرون طريقهم⁽¹⁾.

فلغتنا العربية اليوم تتعرض لألوان من الهجر والاقصاء والمضايقاة والتشويه من أكثر أبنائها وفي عقر دارها ويتمثل ذلك في الآتي:

- 1- ان لغة المستعمر للبلاد الإسلامية هي لغة الشعوب المسلمة في تلك البلاد في أكثر دول أفريقيا وآسيا، وترى القليل من المسلمين يحسن اللغة العربية ويعرف لها قدرها، أما البقية فهم لا يحسنون غير لغة المستعمر، مع أنهم مسلمون وكان من الواجب أن يتقنوا لغة القرآن، لغة دينهم وعبادتهم.
- 2- أن اللغة الأجنبية هي لغة التعليم الجامعي في الأقسام العلمية في كثير من جامعاتنا بل في جامعات الدول العربية، فالتب والهندسة والعلوم وغيرها من العلوم التجريبية كلها لا تدرس إلا باللغة الأجنبية وقلة المحاولات الجادة لتعريب تلك العلوم أمر مؤلم ومحير رغم جهود المجامع اللغوية في الوطن العربي ووحدات التعريب فيها وفي الجامعات العربية المختلفة.
- 3- إن من المؤسف جداً أن تكون اللغة السائدة في المراكز الصحية والمستشفيات وكذلك في الفنادق هي اللغة الأجنبية مع أن غالبية الأطباء العاملين في تلك المؤسسات والمواقع من العرب... إن المرء يشعر بالألم والحسرة عندما يتسلم وطفته الطبية فيجدها مكتوبة باللغة الأجنبية أو (فاتورة) حسابه في الفندق فيجدها كذلك بل إن الألم يزداد وتتضاعف الحسرة حينما تبحث عن تحسين العربية في تلك المواقع فلا تجده فمن المسئول عن هذا التخازل والتتكرف؟؟
- 4- إن من مظاهر الغزو الأجنبي ذلك الكم الهائل من المفردات التي تسللت إلى لغتنا العربية في حين غفلة من أهلها، فلا تكاد تستمع إلى متحدث إلا وتجد في ثنايا بعض تلك الكلمات، وبخاصة معشر المثقفين غير مدركين خطورة هذا المسلك.
- 5- ومن مظاهر هجر الفصحى وغربتها تلك النظرة المتميزة لمن يتكلم أياً من اللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية في الوقت الذي يلاقي فيه من يحاول أن يتحدث بالفصحى شيئاً من الاستهزاء والسخرية من المجتمع الذي يعيش فيه.
- 6- إن من مظاهر عدم الاهتمام باللغة وغربتها بين أهلها ما يلاحظ على بعض المعلمين في المراحل المختلفة بشكل عام، ومعلمي اللغة بشكل خاص من ضعف في المستوى العلمي، فترى بعض المعلمين لا يحرصون على الالتزام بالفصحى أثناء تدريس الطلاب، بل أنه لا يستخدم إلا اللهجة المحلية.
- 7- الأخطاء الجسيمة التي نراها ونشاهدها ومخالفات لغوية ونحوية واضحة في اللافتات واللوحات المعلقة على واجهات المحلات التجارية، كما أننا نلاحظ بعض المسميات الداخلية على لغتنا وكثيراً ما تزامم اللغة الأجنبية لغتنا الأصلية، فتكتب بخط عريض وشكل جميل ينافس لغة البلاد المعتبرة⁽²⁾.
- 8- ومن ذلك أن يظهر مدرس العربية والدين بمظهر غير لائق ولا حضاري في بعض الأعمال المسرحية والمسلسلات من جرائمها يعبأ شعور الناشئة هذه الأمة

(1) احمد الضبيبي، اللغة العربية في عصر العولمة، ط1، العبيكان، الرياض، 2001م، ص173.
(2) بحث بعنوان (التحديات التي تواجه اللغة العربية في عصر العولمة، د/ محمد انعام الحق شودري.

بالكراهية لمدرس اللغة العربية والدين... يضاف إلى ذلك أن المعاهد والجامعات التي تخرج مدرسي اللغة العربية قد فشلت إلى حد كبير في تقديم المقررات الدراسية التي تؤهل خريجها ليكون مدرسا ناجحا ونموذجا يحتذى به.

أيضا تعاني لغتنا العربية في معركة الحضارة المعاصرة مشكلات وتصادفها عقبات من

أبرزها:

- تدريس العلوم الطبيعية والطبية بلغة أجنبية.
- حرمان المكتبة العربية من الأعمال الموسوعية العامية والمتخصصة، وكذلك المعجمات بمستوياتها المختلفة.
- كنوز المخطوطات العربية المشتتة بين مكتبات العالم لم تحظ بتحقيقها ونشرها ودراستها وتقويمها.
- حالب العربية في دور التعليم وغياب التكامل العلمي في تعليم العربية، فمناهج التربية والتعليم ضد ازدهار اللغة العربية بل هي سبب مباشر للضعف اللغوي.
- نزعة المجتمع إلى التغريب.
- الجانب الأكبر من التراث الإنساني لم يترجم إلى العربية حتى اليوم
- لم يتم تيسير سبل تعليم العربية لغير الناطقين بها بطريقة علمية حتى اليوم.
- افتقاد رؤية لمستقبل اللغة العربية، فلا يوجد لدينا تخطيط لغوي للمستقبل.

وغير أن لغتنا تواجه في صراع البقاء معارك محتدمة بينها وبين أعدائها فهي قد اتخذت عرضا تتواقع فيه النصال على النصال من فئات لعبت بساحتها الأهواء فهي عند تفرغها شائغة منزوفة الطاقة لا تنتهي بفكر ولا تجري في مضمار الحضارة، وهي عند آخرين لغة جاءت والصعوبة عل موعد فالقاعدة فيها عصية لا تلين والقانون النحوي ادراكي مثقل لا ينفق.

وقد يكون من الطبيعي أن تجحد اللغة العربية خارج حدودها أعداء يكيدون لها، ولكن المفزع حقا أن يكون بعض هؤلاء الأعداء من بينها عن قصد أو عن غير قصد، ولذلك فهي تقاتل في أقربهما أمرهما، لأنها هنا تقاتل قطعا مع نفسها، ولو كتب الله لها النصر في هذه المعركة فإن ما عداها يهون. العالم بأسره يهاب العربية ويضعها من بين اللغات التي لا تخدم قضية التقدم العلمي والتكنولوجي وهذا كله لعداوتهم للإسلام والمسلمين وينقصون من قدرها مع علمهم بأنها محفوظة من رب العالمين، وقد دل على ذلك أنها اللغة الوحيدة التي لم تتأثر سلبا باحتكاكها بغيرها من اللغات الأخرى، بل زاد ذلك من قوتها وقوة مفرداتها والتي تشكل اعجازا حقيقا للعربية حيث الاشتقاقات الأنيقة التي أغنت المعاجم واستطاعت أن تكون في غاية المرونة والتطويع النادر في محاولات العرب في ترجمة العديد من الكتب والمؤلفات النادرة التي خدمت البحث العلمي.

إن العربية كلغة عالمية لا بد لها أن تسير بخطى ثابتة مدركة ما يدور حولها من مؤامرات ووسائل يحكيها أعداء الإسلام..

وليس معنى رجوعنا إلى اللغة العربية أن نجعل غيرها فمزالنا معرفة اللغات المختلفة السبيل الوحيد إلى استيعاب العلم ولا حرج على من يعشق لغته العربية أن يتعلم باللغة العربية والعولمة قتل حسب علمي الدراسات العلمية موثقة علن ذلك ولكن هناك إشارات تحذر من

انتشار اللغة الأجنبية على حساب اللغة الأم، سواء في مجال الدراسة أو مجال الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز أو في مجال الكلام اليومي المعتاد⁽¹⁾.

ومن أبرز صور الغزو على اللغة العربية:

1- اتهامها بالعقم والجمود والتحجر والقصور وأنها لم تعد ملائمة لأساليب القرن الحادي والعشرين عصر الثورة المعلوماتية، والاختراقات الفضائية، فكان منا من نظر إلى التخلف العلمي في عصر الذرة فأعلن أن لا يرى لهذا سبب غير تمسك العرب بلغتهم في مراحل التعليم عامة والتعليم العالي منها خاصة، وآخر يلح في الدعوة إلى تدريس العلوم الطبية، وغيرها بلغة غير عربية، ليظل العربي، والمسلم خاصة عنده احساس بعجز اللغة العربية لغة القرآن.

المواجهة:

الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات، كما يعيش العرب في أسر وقبائل، وللكلمة جسم وروح، ولها نسب تلتقي مع مثيلتها في مادتها ومعناها، فخاصية الاشتقاق من أعظم ما امتازت به العربية، فبالاشتقاق عملت على زيادة موروثها اللفظي والمعنوي كما تقدم الزمن.

كما أن اللغة العربية تمتاز بثبات الأصول ومرونة الفروع، وثبات أصول الالفاظ ومحافظتها على روابطها الاشتقاقية يقابل استمرار الشخصية العربية خلال العصور، فالحفاظ على الأصل واتصال الشخصية واستمرارها صفة يتصف بها العرب كما تتصف بها لغتهم، إذ تمكن الخاصة الاشتقاقية من تمييز الدخيل الغريب من الأصل.

وبهذه المرونة عولجت مسألة المصطلحات، وقد لاحظ الفرد غيوم هذه الخصائص فعلق عليها بقوله: "صلح اللسان العربي للتعبير عن العلاقات بإيجاز أكثر من اللغات الأوروبية، لمرونتها وقابليتها الاشتقاقية الفائقة في الاسم والفعل"⁽²⁾

فاللغات الأوروبية تتغير معاجمها بين الحين والحين ولا يمر قرن واحد إلا ويصيبها تغيير أساسي في مفرداتها وقواعدها، بينما للعربية قدرتها الفائقة على استخدام أكثر من طريقة لتثبيت ألفاظ جديدة في قاموسها: كالقلب المكاني والنحت، والتعريب، وغيرهم ... ومن مرونتها كذلك الظواهر الصوتية من ابدال وادغام واطهار واشمام، وايضا رسم المكان، الزمان، السببية، الحرفة، الأصوات، المشاركة، الآلة، التفضيل..... وغيرهم، تلك المرونة التي أتاحت لها أن تغزو لغة الحضارة في القرون الوسطى، ويقول ويليم ورك:

"إن العربية لنا ومرونة يمكنها من التكيف وفقا لمقتضيات العصر"

قال حافظ على لسان العربية:

وما ضقت عن أي به وعظمت
وتنسيق اسماء المخترعات

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

(1) بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي للغة العربية بعنوان: "ماذا تغزي العربي من داخل حصونها؟" أ.د/ ياسر الملاح أستاذ اللغة العربية - جامعة القدس المفتوحة.

(2) بحوث في اللغة والنحو والبلاغة، عبدالإله احمد النبهان، ص54.

وعلامة الاعراب التي تمتاز بها العربية دون غيرها من اللغات الأخرى التي يحاول أعداء العربية والإسلام أن يطمسوها بدعوى (تبسيط النحو/ صعوبة النحو/.... الخ) ولا تعدو أن تكون معولاً يحاول أن يصيب مقتلاً في كيان هذه الأمة، وهي محاولات هدامة تحاول إضعاف العربية.

2- الانتصار للعامية والحروف اللاتينية على حساب الفصحى... وكلام حول هذا الجانب يطول، إلا أنه بين الفصحى والعامية تعايش سلمي قديم، فحقيقة كون اللغة واحدة ذات اساس ومرجعية تاريخية ثابتة، أما اللهجات الموجودة في الواقع فهي نتيجة طبيعية للعزلة التاريخية، والانقسامات الدينية التي رسخت الشرخ الطانفي بين أبناء الأمة الواحدة، واللهجات عموماً موجودة في معظم اللغات الحية، وفي جميع أصقاع الأرض لا تخلو لغة من لهجات عامية تختلف من بلد إلى آخر.

ويصل الاختلاف احياناً إلى حد تعذر فهم لغة الشخص الآخر من ذات القومية كما هو الحال في اللغة العربية حيث تجد صعوبة بالغة أحياناً في فهم اللهجة العربية للجزائري أو المغربي أو الموريتاني أو الصومالي... في كل لغة من لغات العالم الحية توجد لغة فصحى، وتوجد لهجات عامية محكية ومهما اختلفت اللهجات بحسب المناطق والبلدان فإن المرجعية تكمن للفصحى الأساس، ومهما دخلت الشوائب والكلمات الغربية على اللهجات المحلية فإن الفصحى هي الحصن المنيع والمرجع الأخير لكل الطوائف من أبناء الشعب الواحد.

إن تجاهل كل هؤلاء المستشرقين والمستغربين لمسألة الازدواج اللغوي أي وجود العامية والفصحى في حقيقتها الراهنة في العالم المعاصر، والصاقها بالعربية فقط هو صرف للقضية في غير مسارها الحقيقي فالازدواجية ظاهرة عامة لها أصولها ومقوماتها النفسية والاجتماعية وليست ذات صبغة مرضية كما يحاولون تصويرها إذا تكلموا عن العربية وكأنها انفردت من بين لغات البشر بهذه الازدواجية..

وكل حال فإن من المبالغة أن نتصور أن هناك ذلك اليون الشائع المتوهم بين عامتنا وفحصتنا خاصة بعد أن خطا التعليم بالناس خطوات واسعة نحو الفصحى في سائر الدول العربية وما حدث تجاه مسألة الازدواجية من تهافت أدلة اولئك الشعوبيين حدث تجاه المسائل الأخرى التي باتت مفضوحة الارتباطات كالدعوة الى الكتابة اللاتينية التي بلغت حدا من التهافت والسخف جعل أصحابها موضع تندر قبل أن يكونوا جديرين بالرد والنقاش، وللإنصاف

هناك من حكم ضميره فرجع عن دعواه! ولكن هل انهزم اعداء العربية؟؟ أنهم يعرفون أن هدم ذلك البناء الشامخ غير ممكن ولا ميسر لذلك فإنهم يكفهم في كل مرحلة أن يخربوا بعض أطرافه ويقلعوا بعض أحجاره لعله يتاح لهم في المستقبل دك أعمدته وتخريب أساسه⁽¹⁾.

3- الإعلام العربي واللغة العربية:

والإعلام هو التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير، وروحها وميولها، واتجاهاتها في الوقت نفسه فهو أولاً وقبل كل شئ يعد من أهم مؤسسات التشكيل الثقافي على تنوعها أصبحت بحوزة الإعلام⁽²⁾ والاتصال الجماهيري وتتسع رقعة يومياً بعد يوم، فالسماة وما فيها من أقمار صناعية والأرض وما فيها من مستقبلات فضائية، كل يخاطب كلاً ويتصل به وقد

(1) بحوث في اللغة والنحو والبلاغة، عبدالإله احمد النبهان، ص70-72.

(2) الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، نور الدين بلبليل، ص28، سلسلة كتاب الأمة ع 14 رجب 1422هـ.

يكون ميدان الصراع الحضاري الحقيقي اليوم، قد تحول إلى الإعلام، وأصبح التمكن من امتلاك الشوكة الإعلامية بكل لوازمها ومقتضياتها يضمن الغلبة الثقافية التي تعد ركيزة التفوق الحضاري⁽¹⁾.

ويبين أصحاب الخبرات الطويلة في البحث اللغوي أن أفضل طريقة لتعليم اللغة وإيسرها إلى الطبيعة هو خلق بيئة فصحة تنطق بالعربية، وأن نستمع إليها ونطيل الاستماع، ثم نحاول التحدث بها ونكثر المحاولات... أننا بحاجة لتنمية الملكة اللغوية للمجتمع، أي نقله من مستوى إلى مستوى أفضل، ومن نمط بال إلى آخر متقدم، ومن طريقة تعبيرية سوقية إلى أخرى رانعة، أليس من اللائق التستر وراء الشعبية لتسويق الإسفاف، أو لتسويق القضاء على الشعب بالجهل الأبدي الذي يقصر اطلاعه على موضوعات لا تعلق بالقارئ عن طاقة الأمية مسوغاً لتدني مستوى لغة الخطاب الإعلامي لأننا إذا خاطبنا العامة بلغة الأميين نكون قد أسهمنا في زيادة نشر الأمية ولكن إذا خاطبناهم بلغة أرفع نكون قد أفدناهم من جهة، ولأن استمرارنا في ذلك سيجعلهم يتعلمون شيئاً ما، ويستخدمونه في التعبير من جهة أخرى، لأن اللغة ضرباً من السلوك قبل أن تكون علماً ومعرفة.

ظواهر سلبية في الإعلام المرئي⁽²⁾:

- 1- فشو العامية على أسنة بعض المذيعين ولا سيما في المقابلات والمحاورات على الرغم من أن الصحافة المقررة استطاعت حتى الآن أن تصون نفسها من الانزلاق في اللهجة الدارجة نوعاً ما.
- 2- بعض الألفاظ الأجنبية كثيرة التردد على أسنة المذيعين.. وهذا العيب قلما نجده في الصحافة المقررة.
- 3- ضحالة الأسلوب وضعف الزاد اللغوي لدى المذيعين وغالباً بسبب ذلك قصور اطلاعهم على أساليب البلاغ، وكلام الفصحاء.
- 4- لغة الإعلانات؛ غلبت الركافة على اللغة الإعلانية وكثرت فيها الأخطاء والابتذال، سواء في الصحف أو التلفاز أو الإذاعة.

بعض الحلول والمقترحات:

- 1- ان تستخدم وسائل الإعلام في توعيتها الكلمات الفصحى.
- 2- ضرورة وجود دائرة من المراجعين المدققين اللغويين ذوي الكفاءة يتتبعون النشرات والتقارير والبرامج الأخرى.
- 3- تقديم جوائز تشجيعية لكل من يخرج عملاً إعلامياً من لقاء أو مسرحيات أو أغاني أو مسلسلات بلغة فصحى مبسطة للجماهير في كل قطر.
- 4- يجب تقديم دروس تقوية للعاملين بالإعلام، يكون حضورها إلزامياً في مسائل العربية ونحوها وصرافها.
- 5- إقامة ندوات لغوية ونحوية للإعلاميين، وإلقاء محاضرات بين الحين والآخر، تناقش فيها مختلف القضايا اللغوية والنحوية المتعلقة بوسائل الإعلام.

(1) التقديم، بقلم عمر عبيد حسنة لكتاب في الغزو الفكري د/ احمد السايح، ص20 سلسلة كتاب الأمة ع 38/ رجب 1414هـ.

(2) بحث بعنوان: "اللغة العربية التحديات والمواجهة"، ا/ دوان موسى الزبيدي.

- 6- إصدار نشرة بأهم الأغلط الملحوظة، مع تصويبها وتعميمها على العاملين ليتم تلافئها.
- 7- عدم قبول أي كادر إعلامي إلا بنجاحه في مادة اللغة العربية؛ لأن هذا سيدفعهم للقراءة والمتابعة وتطوير قدراتهم اللغوية.
- 8- ان يكون اختيار المذيعين قائما على جودة اللغة العربية، واتقانهم لها، فكرا وثقافة وكتابة موهوبة.
- 9- زيادة الوقت المخصص للبرامج التثقيفية في اللغة العربية والعمل على رفع مستواها.
- 10- تعميم اللغة المشتركة بين اللهجات ثم تلغئها بمرور الوقت.
- 11- الربط بين الإعلام وأجهزته وبين خطط التعليم والمناهج المدرسية.
- 12- عرض ترجمات الأفلام والبرامج الأجنبية على المراجعين المدققين اللغويين قبل تسجيلها، على أن يكون هذا شرطا لشرائها أو مبادلتها.
- 13- يفترض في الإعلانات التجارية أن تكون بلغة سليمة ناصعة، أو على الأقل بلغة وسط بين العامية والفصحى.
- 14- ينبغى عدم ادخال الفاظ أجنبية على العربية في لغة الإعلانات؛ لأن فيه إهانة لها، وإنما يتم الترجمة أو التعريب حتى لا يؤدي هذا إلى ازدواجية لغوية.
- 15- يجب أن تستمر وسائل الإعلام الدعايات الإعلانية بالزامها بلغة عربية فصيحة معاصرة.

من صور القمع الاستعماري للعربية في الجزائر:

- 1- حظر استعمال اللغة العربية في المجال الرسمي حظرا مطلقا، ونفذ ذلك بدقة، ونتج عنه أن أصبح المتعلم باللغة العربية والأي في درجة واحدة أمام الإدارة الفرنسية لقضاء حاجاتهم.
 - 2- عدم السماح للجزائريين بتأسيس مدارس ومعاهد تعليم اللغة العربية وثقافتها، والاكنتفاء ببعض الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم فقط دون تفسيره أو تدريس المواد الاجتماعية، وكل من يخرج عن هذا الشرط يغلق كتابه ويغرم ويزج به في السجون.
 - 3- وضع الكتب المدرسية باللهجة العامية أيضا لبعض الجزائريين، هذه العامية هي في الحقيقة خليط من العربية ولهجاتها، والبربرية والتركية، والفرنسية، لانتشارها بين الناس أكثر من غيرها.
 - 4- فرض حصار محكم على تسلل الثقافة العربية الإسلامية من المشرق، حتى لا تخلق لهم مشاكل في توجههم نحو فصل الشعب الجزائري عن أمته العربية.
- ... وتستمر حملات التغريب اللغوي باتساع العالم العربي، ومازالت جهودنا قاصرة عن مواجهة تلك الحملات.

4- دور المخلصين من أبناء العربية نحوها

نريد أن نكون مع لغتنا العربية على موقف احد رجلين تصاحبا في السفر، وجد أحدهما قطعة حجر تبرق تحت أشعة الشمس وتلمع، فالتقطها أحدهما، وتفحصها فظن أنها لا قيمة لها وألقى بها جاهلا بحقيقتها، فالتقطها مرافقه فنظر إليها فعرف أنها حجر كريم، فإذا به يخرج

منديله ويزيل التراب عنها، ولما وصل إلى بلدته أتى بلفائف من حرير ووضعها فيها ثم عرضها على الزبائن في متجره.

وأقول نريد أن نكون على موقف احد هذين الرجلين تجاه لغتنا العربية، فأما الموقف الأول، موقف الإلقاء والإهمال، فإنه كان لجهل ذلك الرجل بقيمة الحجر، وما أظن أن أحدنا يرضى لنفسه أو لأولاده أن يكونوا على هذا الموقف بعد أن بان أن لغتنا العربية تؤدي من الوظائف ما يؤديه غيرها من اللغات، إضافة إلى كونها مدخلنا لفهم كتاب الله وسنة رسوله وما دار حولهما من علوم وما كتب في ظل الحضارة الإسلامية في شتى فروع المعرفة بقي أن نكون على موقف الرجل الثاني الذي أنزل الحجر الكريم منزلته اللانقة به، لما عرف من قيمته وحقيقته.

وبعد أن عرضنا لصور الغزو على لغتنا الفريدة تبين لنا أن لزاماً على أهل اللغة العربية الغيورين عليها، التداعي لتوفير أسباب حماية اللغة المقدسة، من الأنواء والأعاصير التي تعصف بها، وانتشالها من الهاوية التي تتردد إليها من مختلف الصعد، وفي مختلف الجوانب، حماية للثقافة العربية من الاندثار والذوبان وصوناً للهوية العربية من التلاشي والضياع.

فعلى أبناء اللغة العربية المخلصين دوراً كبيراً في الحفاظ على لغتهم وتمسكهم بها فعلى سبيل المثال:

- 1- في التعاملات اليومية بين الأفراد يجب أن ينقوا لغة تعاملهم من الألفاظ الأجنبية وأن يحافظوا على لغتهم الرصينة الأصلية ويلتزموا بها.
- 2- التعامل بها على مواقع التواصل الاجتماعي والانترنت في مواجهة ما يسمى بـ "الفرانكو آراب"، وهو من البدع التي لاقت رواجاً وألفة بين الشباب العربي، وهذه الظاهرة تعني كتابة الحروف العربية باللغة الإنجليزية، وهي لغة منتشرة بين الشباب، وتستخدم في مصر والدول العربية من خلال استخدام الانترنت، خصوصاً في المحادثة ورسائل البريد الإلكتروني... وهي تعد من الحروب المقنعة ضد اللغة العربية.
- 3- الإيمان بعبقرية اللغة العربية، وهذا من شأن مناهج تدريس اللغة العربية حيث يزود منهاج اللغة العربية المتعلم بجملة من قواعد اللغة في الكتابة، والصرف والنحو والبلاغة والعروض، وتتيح له هذه الدراسة استجلاء أنظمة اللغة العربية، ومعايير تأليف الكلام فيها، مما يغرس في نفسه بعبقرية اللغة العربية، ويطلق على أسرار تميزها.

5- الأمل المنشود للغة العربية

مقترحات حول إعادة إحياء اللغة العربية في كل مجالات حياتنا

ولكي نصل إلى المستقبل المنشود للغة العربية، الذي يليق بلغة القرآن لدينا بعض المقترحات والحلول التي إن خرجت من إطار التنظير إلى التطبيق ستعيد للغتنا العربية مكانتها وريادتها بين اللغات، ومن هذه المقترحات:

(1) الارتقاء بالمستوى اللغوي لوسائل الإعلام:

- 1- ان تستخدم وسائل الإعلام في توعيتها الكلمات الفصحى، والعبارات سليمة التراكيب التي تجمع بين البساطة في التعبير، واحترام قواعد اللغة.
- 2- قيام وسائل الإعلام بالتوعية المستمرة في حث الجماهير على النطق بالعربية الفصحى.
- 3- ضرورة وجود دائرة من المراجعين المدققين اللغويين ذوي الكفاءة يتتبعون النشرات والتقارير والبرامج الأخرى.
- 4- تقديم جوائز تشجيعية لكل من يخرج عملاً إعلامياً من لقاء أو مسرحيات أو أغانٍ أو مسلسلات بلغة فصحى مبسطة للجماهير في كل قطر.
- 5- يجب تقديم دروس تقوية للعاملين بالإعلام ويكون خصورها إلزاماً في مسائل العربية ونحوها وصرافها.
- 6- إقامة ندوات لغوية ونحوية للإعلاميين والقاء محاضرات بين الحين والآخر، تناقش فيها مختلف القضايا اللغوية والنحوية المتعلقة بوسائل الإعلام.
- 7- إصدار نشرة بأهم الأغلط الملحوظة، مع تصويبها وتعميمها على العاملين لتلافئها.
- 8- عدم قبول أي كادر إعلامي إلا بنجاحه في مادة اللغة العربية؛ لأن هذا سيدفعهم للقراءة والمتابعة وتطوير قدراتهم اللغوية.
- 9- أن يكون اختيار المذيعين قائماً على جودة اللغة العربية، واتقانهم لها، فكراً وثقافة، وكتابة موهوبة.
- 10- زيادة الوقت المخصص للبرامج التثقيفية في اللغة العربية والعمل على رفع مستواها.
- 11- تعميم لغة مشتركة تقرب بين اللهجات ثم تلغئها بمرور الوقت.
- 12- الربط بين الإعلام وأجهزته وبين خطط التعليم والمناهج المدرسية.
- 13- عرض ترجمات الأفلام والبرامج الأجنبية على المراجعين المدققين اللغويين قبل تسجيلها، على أن يكون هذا شرطاً لشرائها أو مبادلئها.
- 14- يفترض في الإعلانات التجارية أن تكون بلغة سليمة ناصعة، أو على الأقل بلغة وسط بين العامية والفصحى.
- 15- ينبغي عدم ادخال الفاظ أجنبية على العربية في لغة الإعلانات؛ لأن فيه إهانة لها، وإنما تتم الترجمة أو التعريب حتى لا يؤدي هذا إلى ازدواجية لغوية.
- 16- يجب أن تستثمر وسائل الإعلام الدعايات الإعلانية بالزامها بلغة عربية فصيحة معاصرة.

(2) محاولة تفصيح العامية:

اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي تستخدم في تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري والعلمي عامة، وهي تخضع لقوانين تضبطها، وتحكم عبادئها، وهي تتوخى الإيضاح والأصالة والإعراب أحد وسائلها إلى تحقيق هذه الغاية، غاية الإيضاح والإفصاح عن صلات الكلمات وبعضها البعض وعن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها والبحث في الدلالات العديدة التي تحملها.

أما اللغة العامية فهي لغة الحديث التي تستخدم في الشئون العادية، ويجري بها الحديث اليومي في البيت والسوق والشارع؛ وهي لا تخضع لنفس القواعد والقوانين الضابطة للعربية الفصحى لأنها تلقائية، ومتغيرة تبعاً لتغير الأجيال وتغير الظروف المحيطة بهم، ومن أبرز مميزات خلوها من ظاهرة الإعراب.

ظاهرة العامية:

إذا بحثنا عن طبيعة العلاقة القائمة بين اللغة الفصحى من جهة، واللغة العامية أو العاميات من جهة أخرى، فإننا نجد في كل لغات العالم تقريبا علاقة قديمة تضرب جذورها في أعماق تاريخ نشأة اللغات المكتوبة، بل أن الفصحى كانت في إحدى مراحل التاريخ عبارة عن لغة عامية، تطورت نتيجة لعوامل مختلفة، لا مجال لتفصيل الحديث عنها، إلى لغة فصحى.

من هنا لم يكن اهتمام اللغويين العرب القدماء بدراسة العامية وعلاقتها بالفصحى يهدف إلى تدوينها كلغة قائمة بذاتها وإنما كان من أجل تصحيحها وتقليص الفجوة بينها وبين الفصحى؛ لكي تصبح جزءاً سليماً من اللغة الفصحى وليست منافساً لها.

ولكن هل اللغة العامية قادرة فعلاً على الوفاء بمطالب الفكر والعلم والتكنولوجيا؟ بالطبع لا ومما أيده كل الباحثين اللغويين تقريبا أن العامية سواء في البلاد العربية أو غيرها من البلدان الأخرى لغة قاصرة جداً في التعبير إلا في المجالات البسيطة، كما أنها فقيرة فقراً شديداً في مفرداتها ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي فقط، وهي فوق ذلك كله لتعدد أنماطها في البلد الواحد لغة مضطربة كل الاضطراب في قواعدها، وأساليبها، ومعاني ألفاظها، وتحديد وظائف الكلمات في جملها، وربط الجمل بعضها ببعض إلى غير ذلك كما أنها تخلو من المصطلحات العلمية، ومن الدقة في التعبير في غير مجالها الحياتي، وأداة هذا الشأن لا يمكن أن تقوى مطلقاً على التعبير عن المعاني الدقيقة، ولا عن حقائق العلوم والآداب والإنتاج المنظم، ولذلك فهي لا تصلح أن تكون لغة عامة لاختلاف العاميات حتى في البلد الواحد.

كيف نفصح العامية؟

إن العامية ظاهرة طبيعية في معظم لغات العالم مادامت لم تتعد حدودها وتنافس اللغة الرئيسية، وعندما حاول الغرب القضاء على اللغة العربية الفصحى سعى أولاً لدراستها وفهمها محاولاً البحث عن نقاط قصورها، وعندما لم يجد اقحم العامية في الكتابات كوسيلة لمحاربة الفصحى.

الحلول المطلوبة للرفق باللغة العامية وتقريب الفجوة بينها وبين اللغة الفصحى والعودة لنشرها بين الناس عن طريق:

- أ- تبسيط اللغة العربية لدارسيها وتيسير النحو باستخدام الإمكانيات الحديثة.
- ب- نشر اللغة في وسائل الإعلام والصحف حتى تكون قريبة من الأذان والمفاهيم.
- ج- التركيز على استخدامها في برامج الأطفال والكتب الخاصة بهم بطريقة مشوقة حتى يألفها الطفل قبل دخول المدرسة أيضاً.
- د- منع المدرسين من استخدام العامية بالمدارس وتشجيع الطلبة على استخدام الفصحى ويكشف هذا دور مدرس اللغة العربية وظلمه بالمسئولية الملقاة على عاتقه إذ أننا عندما نطالب بتأهيله لتحمل دوره يجب ألا نتغافل عن شركائه في هذا

الدور من مدرسي جميع المواد إذ أنه – في رأينا – لا يوجد مدرس لغة عربية ولكن كل مدرس يجب أن يدرس باللغة العربية.

(3) إحياء الألفاظ القديمة المماتة:

فالعربية تحتوي على حوالي مائة ألف جذر، ولا يستعمل منها سوى عشرة آلاف؟ ومن ثم فهناك نسبة كبيرة من ألفاظها مماتة أو مهجورة؛ وهذا يوجد في جميع اللغات، وقد انتبه بعض الباحثين الغربيين إلى أهمية هذه الثروة الراكدة في لغاتهم فاستغلوها في وضع مصطلحات تقتصر على المعنى العلمي المراد فقط، فلا تلتبس بأي معنى غيره، وهذه الطريقة في الاصطلاح العلمي تعتمد على الاقتراض من اللغة نفسها⁽¹⁾.

(4) الاشتقاق:

ويعرف بأنه عملية استخراج لفظ من آخر، أو صيغة من أخرى بشروط معينة أهمها الاتفاق أو المقاربة في المعنى، والانطباق أو الاشتراك في الحروف الأصلية.

والاشتقاق نوعان: صغير وكبير، وأهمها الأول؛ لكونه يعمل على تنمية الثروة اللغوية بزيادة صيغها و الفاظها مثل: اشتقاق (ضرب – يضرب – اضرب – ضارب – مضروب) من مادة (الضرب)، وقد اشتق المحدثون بعض الألفاظ المعاصرة قياسا على أوزان مسموعة عند العرب، وذلك في الألفاظ الجامدة نحو محور من محور – تموضع من موضع – تموسم من موسم – مذهب من مذهب – منْهَج منْهَج – تمرکز من مركز.

وقد سمع منه قديماً: (تمذهب – تمدرع من مدرعة – تمنطق – تمندل من منديل- تمسكن)⁽²⁾ وما من شك في أن هذه الطريقة في تخليق ألفاظ جديدة وتوليدها بعضها من بعض، تجعل من اللغة جسماً حياً تتوالد أجزاؤه ويتصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة، وبذلك يقوم الاشتقاق بدور كبير في التوليد اللغوي لألفاظ جديدة من جهة، ومن جهة أخرى يميز بين الألفاظ الأصلية والدخيلة، لأن ما يخضع له يعد من الأصل، وما لا يخضع له يكون من الدخيل.

(5) النحت:

"النحت من ضروب التوسع"⁽³⁾ في اللغة وهو أن تعدد إلى كلمتين، أو جملة، فتنتزع منت مجموعة حروف كلماتها كلمة فذة، تدل على ما كانت عليه الجملة نفسها⁽⁴⁾ ومثل هذا الاختزال في الكلمة المنحوتة المعبرة عن الانتماء إلى (دار العلوم) فتكون (درعمة) اسماً، (ودرعمي) صفة⁽⁵⁾.

وقد أجاز النحت أكثر القدماء، وعلى رأسهم "الخليل بن احمد" في معجمه "العين" حيث نحت (حيعل) من جملة (حي على الفلاح)،

(1) د سخاذه الخوري، مبحث واقع حركة الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي، مجلة الفيصل، ع 238، 1996م.

(2) الشريف الجرجاني (على بن محمد)، التعريفات، الشؤون الثقافية، بغداد، 1987م.

(3) د/ عبدالكريم خليفة، مبحث العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني.

(4) فندريس، اللغة، ترجمة د/ عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة

(5) د/ كارم السيد غنيم، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، ط مكتبة ابن سينا.

وأجاز ذلك لما سمع عن العرب من قولهم: (تعبش الرجل وتعبقس ورجل عبشيمي) إذا كان من عبد شمس أو من عبد قيس، فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً⁽¹⁾، وهذه المشتقات المنحوتة عند "الخليل" تأخذ حكم حاتم انتماؤها إليه، فهي تعامل معاملة الأسماء إذا صارت اسماً، كما تعامل معاملة الأفعال إذا صارت فعلاً، وقد اختلف اللغويون المحدثون في التوسع باستعمال النحت في اللغة الحديثة، فهناك من يقول بعدم الحاجة إلى النحت، لا لشيء إلا لأن علماء العصر العباسي، على حد قوله، لم يحتوا كلمات علمية، وآخرون يقولون إنهم لا يركنون إليه في المصطلحات الجديدة إلا نادراً، لا لسبب إلا لأنه على حد قولهم نادر في العربية، وهناك فريق معاصر آخر في النحت وسيلة لإغناء العربية الحديثة، وطريقاً في التوسع يكفل لها مواكبة الحضارة وعلومها.

ولأهمية النحت في نمو الثروة اللغوية، اهتم به مجمع اللغة العربية فقدمت فيه أبحاث إضافية عرضت فيه على لجنة الأصول، وبعد دراسات وبحوث متعددة، أقره المجمع مشروطاً له الاقتصار على المصطلحات العلمية والسماع، إلا أن كثرة المستحدثات والمخترعات اضطرت المجمع إلى عدم تقييده بالمصطلحات العلمية وجعله قياساً؟

وبذلك تخلص النحت من القيود التي كانت موضوعه له من قبل، وظهرت تراكيب جديدة نحو (فحمانيات) التي نحتت من (فحم وماء)... وهكذا يعد النحت من مصادر نمو اللغة العربية، فهو يزيد ثراء وغنى، ولا سيما في التراكيب الطويلة التي يشق على المتحدثين التداول بها، وهكذا يمكن للغة أن تسخر بإمكانياتها لاستيعاب طوفان الحضارة الحديثة، ذلك بقيد مراعاة أوزان العربية، وانسجام حروف التراكيب المنحوتة.

(6) انفتاح اللغويين العرب:

إن علم اللغة الآن ما زال قاصراً على دارسيه واصبح كثيراً من المتعلمين والمثقفين لا يعرفون شيئاً عن علوم اللغة وقواعدها وأصولها، كما بدت كتابات اللغويين وقفا عليهم قراءة وفهماً، وإن أكثر اللغويين يوجه اهتمامه بدراسة أساليب بعض الشعراء والكتاب القدامى ويركز على تأثيرهم وتأثرهم باللغة قديماً.

ولكن كان الأولى بهؤلاء دراسة التراث اللغوي وفض خزانته بما يتناسب مع متطلبات العصر الحديث والاطلاع على الدراسات اللغوية الحديثة أيضاً.

وكي يتناسب انتاج اللغويين العرب مع منتجات اللغويات في البلدان ذات الثقافة والفكر، وكى يقدموا الرجال العلوم المختلفة ما يشبع رغباتهم بسرعة تجري مع معدل الاكتشافات وما تأتي به الاختراعات.. لكي يحدث ذلك، يحتاج هؤلاء اللغويون إلى:

- 1- المامهم بتكنولوجيا اللغة وهندستها والنظريات الحديثة في هذا المجال، أيضاً المامهم بما يتناقل عبر شبكات الاتصالات من منتجات التطور السريع سواء أكانت مصطلحات لفظية أم مصطلحات علمية أم مترجمات أم معربات تخدم اللغة وتدعمها، إن تقنية اللغة ودراساتها، وإقامة نموذج حاسوبي لها سيساعد أكثر على تفهمها، ورضوخها، وكشف كنوزها، وجوهرها، وخاصة في مجال الأبحاث الإحصائية الآلية، ووضعها في منظومة شاملة، ويصبح دور المتخصصين هو

(1) د/ كمال بشر، مبحث التعريب بين التفكير والتعبير، مجلة الدارة، ع4، 1414هـ.

الأخذ من هذه التقنيات، والإضافة إليها بدلاً من عزل اللغة عنها حتى لا يقتصر العلم بعلوم اللغة يوماً ما على دارسيها المتخصصين فقط، وبيتعد عنها غير المتخصصين.

- 2- استخدام الوسائل الحديثة التي تستخدم في تدريس اللغة الإنجليزية.
- 3- البحث في صحة كل ما هو جديد وتأييده ومحاولة تصحيحه.
- 4- إطلاق يد البحث على شبكات الاتصالات لجميع الدول وترك الأبحاث في مواقع خاصة بها كنوع من الدعاية اللغوية والثقافية أيضاً كنوع من جذب المتخصصين.

الخاتمة

وفي الختام:

إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهو مهيمن على ما سواه من الكتب الأخرى، وهذا يقتضي أن تكون لغته مهيمنة على ما سواها من اللغات الأخرى، وهي لغة خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله الله للبشرية جمعاء، ينبغي أن ندرك أبعاد هذه المسألة.

قال تعالى: " وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " (الشعراء: 193-195)

فلما وصفها الله بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنها، وهذا وسام شرف وتاج كل الله به مفرق العربية، خصوصاً حين ناط الله بها كلامه المنزل.

قال تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " (الزخرف: 3)

وقال تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " (فصلت: 3)

ومن هنا قال حافظ على لسان العربية:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظات

فهو يشير إلى الطاقات الهائلة والمخزون الضخم الذي تمتلكه العربية التي وسعت هذا القرآن بكل أبعاده، وآفاقه، أنها لغة الخلود حيث لا يمكن أن تزول عن الأرض إلا أن يزول هذا الكتاب المنزل، وقد تكفل الله بحفظها ضمناً في قوله:

" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " (الحجر: 9)

إن لغتنا العربية هي ركن ثابت من أركان شخصيتنا فيحق لنا أن نفتخر بها، ونعتز بها، ويجب علينا أن نزود عنها، ونوليها عناية فائقة، ويتمثل واجبنا نحوها في المحافظة على سلامتها، وتخليصها مما قد يشوبها من اللعن والعجمة، وعلينا ألا ننظر إليها بوصفها مجموعة من الأصوات، وجملة من الألفاظ والتراكيب، بل يتعين علينا أن نعتبرها كائناً حياً، فنؤمن بقوتها، وغزارتها، ومرونتها وقدرتها على مسابرة التقدم في شتى المجالات.

كما تعد مقوماً من أهم مقومات حياتنا وكياننا وهي الحاملة لثقافتنا، ورسالتنا والرابط الموحد بيننا والمكون لبنية تفكيرنا، والصلة بين أجيالنا، والصلة كذلك بيننا وبين كثير من الأمم.

إن اللغة من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، وهي الأداة التي سجلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا.. وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي بالحاضر والمستقبل، أنها تمثل خصائص الأمة واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية، والموجهين لسفينتها.